

جامعة محمد بوضياف المسيلة	د/ بوزبرة عبد السلام
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	فلسفة الدين (السنة الثانية ماستر)
قسم الفلسفة	السداسي الثالث : 2023/ 2022

المحاضرة الثالثة: 03

إشكالية أصل التدين:

يجب التمييز، بداية، بين "الدين" كوضع إلهي، و"التدين" ككسب بشري، والمقصود بالدين أصوله الثابتة، التي مصدرها النصوص اليقينية الورود القطعية الدلالة، أما التدين فهو معرفه والتزام بشري بهذه الأصول، بالإضافة إلى الفروع الظنية الورود والدلالة، يقول الدكتور عبد المجيد النجار (إن حقيقة الدين تختلف عن حقيقة التدين؛ إذ الدين هو ذات التعاليم التي هي شرع إلهي، والتدين هو التشريع بتلك التعاليم، فهو كسب إنساني. وهذا الفارق في الحقيقة بينهما يفضي إلى فارق في الخصائص، واختلاف في الأحكام بالنسبة لكل منهما) وبالمحصلة؛ "التدين" هو مجموعة الأفكار والاجتهادات التي يعتقدها المرء ظناً منه أنه يتبع من خلالها الدين الحق، ولكنه قد يصيب وقد يخيب في ذلك.

إن التفكير في أفق مسألة التدين يحيل العقل إلى التساؤل عن أصله: فما هو الباعث في الطبيعة الإنسانية على التدين؟ وهل ثمة أصل واحد للتدين أم أنه يرتد إلى أصول متعددة؟

اختلف علماء الأديان الأنثروبولوجيين حول تحديد أصل العقيدة الدينية عند الإنسان. فرأى فريق منهم أن الأساطير هي أصل الدين، وهو رأي لا يرفض كله ولا يقبل كله!... "لأن العقيدة قد تحتوي الأسطورة، ولكن الأسطورة لا تحتويها، إذ يشتمل عنصر العقيدة على زيادة لا يشتمل عليها عنصر الأسطورة وهي زيادة الإلزام الأخلاقي والشعور الأدبي بالطاعة والولاء والأمل في المعونة والرحمة من جانب الرب المعبود.....". ويرجح آخرون أن السحر هو أصل العبادة وأصل الشعائر الدينية، ولكن يقال في الرد عليهم إن السحر يستلزم وجود الأرواح التي تعالج به وتراض بتعاويذه "والأكثرون من ناقدى الأديان يعللون العقيدة الدينية بضعف الإنسان بين مظاهر الكون وأعدائه فيه من القوى الطبيعية والأحياء فلا غنى له عن سند يتدعه ابتداعاً ليستشعر الطمأنينة بالتعويل عليه والتوجه إليه بالصلوات في شدته وبلواه". "ورأي فرويد قريب من رأي هؤلاء الذين يردون العقيدة الدينية إلى شعور الخوف في وسط العناصر الطبيعية".

وطائفة أخرى من علماء الإنسان يربطون بين "الطواطم" والذين، حيث يظنون "أن الطواطم هي طلائع الأديان بين الهمج الأولين" والفيلسوف الفرنسي . هنري برجسون . يرجع بالعقيدة الدينية إلى مصدرين: أحدهما اجتماعي لفائدة المجتمع أو فائدة النوع كله، والآخر فردي يمتاز به آحاد من ذوي البصيرة والعبقرية الموهوبة....". أما ماكس موللير يرجح أن الإنسان قد تدين منذ أوائل عهده، لأنه أحس بروعة المجهول وجلال الأبد الذي ليس له انتهاء".

وقد استخلص علماء الأديان والاجتماع والأنثروبولوجيا والفلسفة... من هذه الآراء المختلفة أدلة فلسفية على أصل التدين، فردّوه إلى ثابت الفطرة الإنسانية. ومن البواعث الفطرية للتدين ما يلي:

1. إن نزعة التدين ظهرت من غريزة التطلع إلى الغيب ومحاولة معرفة الحقيقة الرابضة وراءه وعدم الوقوف عند حدود الواقع الحسي، والعودة إلى التأمل في المسائل الأزلية، لم خلق الإنسان؟ ومن خلقه؟ ولم خلق الكون؟ ومتى؟ ومن خلقه؟ وما هو مبدأ الإنسان؟ وما هي غايته وهدفه؟ وإلى أين يسير؟ وما هي نهاية الكون؟ وما هو مصير الإنسان؟ وماذا بعد الموت؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تدفع الإنسان إلى الإيمان بالله، وإلى البحث والنظر والسعي والعلم والاكتشاف، وهذا التطلع والتأمل في هذه القضايا الغيبية كانت ولا زالت وستبقى الشغل الشاغل للإنسان، ويريد الوصول إلى اليقين أمام مشكلات الكون الكبرى، مما تقدمت به المدنية وتعددت الاكتشافات وترقى العلم، لأن العلم عاجز قطعاً عن الإجابة عن هذه الأسئلة وأنه مقيد بكشف نواميس الكون دون أن يغير منها شيئاً، وأن مجاله محدد في النواحي المادية التي وضعت تحت حواسه.

2. العجز المتأصل في الإنسان وحاجته إلى قوة جبارة تنقذه من الهلاك وتعينه وقت الشدة ويستغيث بها وقت الضيق فتنجده وتخرجه من المأزق وتقدم له العون عند الحاجة وهذا العجز موجود في كل نفس، ويلمسه الإنسان في نفسه ويسمعه من غيره. هذا الشعور النفسي بوجود المنقذ من الهلاك والحزن والكرب، إما أن يبقى مع الإنسان فيكون مؤمناً وإما أن يتنكر له، ويجحد هذا الفضل، ويعرض عن ربه، فيكون كافراً وملحداً وضالاً،

3. ومن البواعث الفطرية إلى التدين الإحساس بالرهبة أمام هذا الكون العظيم وما يجري فيه مما يحرك أحاسيس الإنسان ويوقظ مداركه ويدفع عقله بالغريزة والفطرة ليبحث عن خالق الكون فيأنس به ويطمئن قلبه عنده، ويهدأ روعه وخوفه، ويأمن جانبه ويعقد أواصر التقرب له، ثم يقدم الطاعة والعبادة لعظمته وهذا هو الدين.. ولقد لفت القرآن الكريم النظر في آيات متعددة إلى هذا الكون وما فيه من أجرام ومشاهد ومخلوقات تستحق الوقوف أمامها، ويقف الإنسان عندها مشدوهاً عاجزاً لا يملك حراكاً ولا عطاءً،

4. ومن أبرز البواعث الفطرية للتدين.. الموت الذي يردع الأحياء ويهزمهم إلى الأعماق وينبه فيهم القوى المعطلة والأجهزة المتجمدة والإحساس المخدر ويزيل من أمامهم الحجب ويكشف لهم الطريق ويذهب الغبش عن العين فيصحو الإنسان على نفسه ويتفكر بحياته ويبحث عن الهدف من الحياة ويستطلع ما بعد الموت ويدرك تماماً قيمة الحياة الآخرة وتفاهة الدنيا وأنها متاع قليل وأن الكمال الحقيقي الذي يتفق مع تكريم الإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات أن تكون نفسه وروحه باقية بعد الموت وأن لها حياة أخرى بعد هذه الحياة يلتقي فيها الأحبة والخلان وفيها يحاسب كل إنسان على عمله فتتحقق العدالة المطلقة ويلقى كل إنسان جزاء عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

5. التأمل في نظام الكون وأجزائه والتفكير في المخلوقات بدءاً من الإنسان وتكوينه وأعضائه وأجهزته وانتهاء بالنجوم والمجرات وطبقات الأرض... والذي ينتهي إلى اكتشاف عظمة هذا الكون ونظامه الدقيق فيضع المتأمل أمام القدرة الخالقة للكون، فيشعر بالحاجة إليه وإلى تقديسه وعبادته.

المصادر والمراجع:

- ول ديورانت ، قصة الحضارة . ج 1 . دار الجيل . بيروت.
- محمد عبد الله دراز ، كتاب الدين . دار القلم . الكويت.
- محمد الزحيلي ، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه . منشورات جمعية الدعوة الإسلامية . ليبيا.
- محمد إقبال في كتابه (تجديد الفكر الديني في الإسلام) عن الفلسفة المدرسية حيث ذهب إلى أن لوجود الله ثلاثة أدلة تعرف بـ: الدليل الكوني ودليل العلة الغائية والدليل الوجودي.
- علي سامي نشار نشأة الدين ، مركز الإنماء . حلب.
- عباس محمود العقاد عقائد المفكرين في القرن العشرين ، دار الكتاب العربي . بيروت.
- صلاح الدين الهواري تهافت الفلاسفة الإمام أبي حامد الغزالي ، المكتبة العصرية . لبنان.
- جورج سارتون تاريخ العلم . ج 3 . دار المعارف . القاهرة.